تطور عمارة البيوت الحلبية الكبرى خلال الفترة العثمانية

د.م لمياء جاسر♦

ملخص البحث :

تطورت البيوت الحلبية الفخمة في مدينة حلب من بيت عربي تقليدي منغلق على الخارج منفتح على الداخل حيث الباحة في العهد العثماني الباكر (١٥١٦- ١٨٤٦م) . إلى بيوت طابقية بدون باحة متأثرة بعمارة عصر النهضة والباروك في أوربا في العهد العثماني المتأخر (١٨٤٦- ١٩١٨م).

يتألف البيت التقليدي من طابقين غالباً تتوسطه باحة ضمنها بركة ماء وأحواض نباتية وأشجار... و هناك في الطرف الجنوبي الإيوان المنفتح على الباحة بقوس مدبب كبير. وقد ظهر في بعض البيوت أواوين شتوية في الطرف الشمالي من الباحة معلقة تقع في الطابق الأول ويتم الصعود إليها إما بدرج مزدوج خارجي يقع ضمن الباحة أو بدرج داخلي. كما ظهرت في الطابق الأول أحياناً بعض الغرف المتربعة فوق الساباط وكذلك الأكشاك الخشبية المطلة على الحارة.

وتتكون البيوت الطابقية من صالة كبيرة تحيط بها غرف تطل على الشوارع العريضة وقد زودت هذه البيوت بشرفات كبيرة كما زود بعضها بأكشاك خشبية بارزة تمكن النساء النظر إلى الشارع دون أن يراهن أحد. وقد ظهرت هذه البيوت في الأحياء الحديثة كحي العزيزية والجميلية...

ظهرت في بيوت الفترة العثمانية أنماط جديدة من الزخرفة منها: الكساء ببلاطات القيشاني، والكساء بالألواح الخشبية المرسومة بالمونة والألوان الزيتية المذهبة (العجمي)، هذا بالإضافة إلى الزخارف المعهودة سابقاً في العهد المملوكي كالمزررات، ونظام الأبلق(التناوب اللوني) والمقرنصات.. والزخارف الهندسية والنجمية والنباتية.

أما بيوت الطراز الحديث التي ظهرت في العهد العثماني المتأخر فقد غلب عليها الزخارف النباتية والهندسية المطورة، وظهرت الأدراج الفخمة المزدوجة والرسوم الزيتية على شكل لوحات على السقوف وتأثرت الواجهات بعمارة عصر النهضة والباروك في أوربا. ولم يقتصر هذا التأثير الغربي على البيوت الحديثة المنفتحة على الشارع وإنما طالت البيوت التقليدية ذات الباحة فظهرت فيها الأدراج الفخمة ضمن الباحة المزودة بالأسيجة المزخرفة بالأشكال النباتية والهندسية ...وغيرها...

♦ مهندسة معمارية – دكتوراة في الآثار.

كما ظهر في العهد العثماني المتأخر أنماط جديدة من الإنشاء فظهرت السقوف والجيزان من البيتون المسلح ، كما استعملت الجوائز من القضبان الحديدية I وذلك بعد مد الخط الحديدي إلى استانبول وأصبح استيراد هذه القضبان ونقلها إلى حلب ممكناً عبر الخطوط الحديدية. مع استمرار التسقيف بالطرق المعتادة كالسقف المستوي الخشبي الممتد فوق جوائز من جذوع الشجر، والأقبية المتطاولة والمتقاطعة بأنواعها والقباب ..

مقدمة:

ظهر في الفترة العثمانية نوعان أساسيان من البيوت الفخمة:

- **النوع الأول:** هو استمرار للبيوت الحلبية التقليدية المنفتحة على الداخل حيث الصحن، والمنغلقة على الخارج. ويشكل الصحن العمود الفقري لهذا البيت. وهذا النموذج من البناء هو النموذج الشائع في الشرق منذ أجيال عديدة وهو الأكثر شيوعاً في أحياء حلب القديمة. وهو يتميز بما يلي :
  - الخصوصية : تبدو جدران البيت العربي صماء من الخارج لا يتخللها نافذة. وهي تشكل سوراً آمناً أمام المهاجمين. وظهرت النوافذ في الطابق العلوي فوق الساباط، وفي الأكشاك المطلة على الحارة، المزودة بالمشربية بحيث تتمكن النساء من رؤية المارين في الحارة دون أن يراهن أحد.
  - دهليز المدخل المؤدي إلى صحن الدار متعرج غالباً على شكل حرف L ليمنع المارين من رؤية الداخل.
  - الفصل بين المسكن الذي تقيم فيه العائلة وبين المضافة التي يستقبل فيها صاحب البيت ضيوفه. وعند الوجهاء يكون لكل قسم صحنه المستقل.
  - لا يوجد في البيت الحلبي وظائف محددة لكل غرفة باستثناء المطبخ والحمام. فغرفة المعيشة يمكن أن تستخدم للنوم وفي سورية تستخدم الغرف حسب الفصول فالقسم المستخدم في الصيف تسمى مصيف والقسم المستخدم شتاء يسمى مشتى[١].

وقد ظهر في أواخر العهد العثماني بيوت تقليدية متطورة متأثرة بالعمارة الأوربية من حيث الزخرفة، وظهور الأدراج الفخمة المزدوجة أو المفردة ذات السياج المزخرف.... ونرى هذا في بيت ممو، وبيت إبراهيم باشا، وبيت الجابري ....

- **النوع الثاني:** بيوت طابقية بدون باحة وهو النموذج المنفتح على الخارج الذي ظهر أواخر العهد العثماني في الأحياء الجديدة العزيزية والجميلية ... متأثراً بعمارة عصر النهضة والباروك في أوربا. وقد بنيت على كامل المساحة أحياناً وكان لها شرفات في الطوابق العليا مطلة على الشوارع العريضة وقد وسع العديد منها بأكشاك خشبية بارزة تمكن النساء من رؤية الشارع، وقد تشكل الطوابق المختلفة داراً واحدة على شكل قصور مستقلة وقد تتقدم هذه الأبنية حديقة أو فسحة أمامية أو تحيط بها من الجهات الأربع. وقد شكلت هذه البيوت بداية النهاية للبيوت التقليدية في مدينة حلب.

---

[١] يوليا، غونيللا – حلب في القرن السابع عشر (البيت الحلبي)– شام للخدمات الطباعية – حلـــب– ص ١٩– ٢٠

أولاً : البيوت الحلبية التقليدية الفخمة

١. الوضع الراهن للبيوت التقليدية الفخمة في مدينة حلب:

تعود معظم الدور السكنية في المدينة القديمة والمناطق الأثرية في مدينة حلب إلى العهد العثماني ولا يزال العديد من هذه الدور والقصور موجوداً لاسيما في الأحياء الغنية كحي الجلوم والفرافرة وبندرة الإسلام وسويقة علي....داخل الأسوار، وحي الجديدة ... وغيرها خارج الأسوار.. معظم هذه الدور قد تم تقطيعها وتقسيمها إلى عدة بيوت أو إضافة أجزاء دخيلة عليها. ويجري حالياً تحويل عدد منها إلى فنادق ومطاعم خاصة على مستويات متفاوتة، بينما حول البعض الآخر إلى مدارس أو جمعية خيرية (كدار للأيتام... وغيرها)، أو متحف (بيت أجقباش، وبيت غزالة)، وقد هجر القسم الكبير من هذه الدور، كما أن البعض منها قد تحول إلى مستودعات ..

سنجري دراسة لبضع نماذج من هذه البيوت وهي المبينة في الجدول التالي :

جدول (١) مواقع البيوت التقليدية الواردة أسماؤها في النص وتاريخ إنشائها

بيت	تاريخ الإنشاء	المحلة - الحي	الشارع	منطقة – (محضر)
بليط		**الصليبة– الجديدة**	حارة (الزبال)	٦– (٢٥٥٤)
باسيل		**الصليبة– الجديدة**	**حارة (الزبال) ..**	٦– (٢٥٤٠)
جنبلاط[٢]	القرن ١٠	**بندرة الإسلام**		٧– (١٧١٠– ١٧١٢)
قطرغاسي	**١٢٤١هـ/١٨٢٥**	**الفرافرة**	**عبد الله الخطيب**	٧– (٣٥٤٨، ٣٥٣٣)
غزالة[٣]	١٦٩١م	**الصليبة– الجديدة**		٦– (٢٣٣٩)
دلال	**القرن ١٨**	**الجديدة**	**حارة السيسي**	٦– (٢٥٠١)
أجقباش	**القرن ١٨**	**الجديدة– الصليبة**	**بوابة الياسمين**	٦– (٢٣٠٣)
الياسمين	**القرن ١٧**	**الجديدة– الصليبة**	**بوابة الياسمين**	٦– (٢٣٠٩)
وكيل[٤]	**الخشبيات ١٠١٢هـ/١٦٠٣**	**الصليبة– الجديدة**	**حارة السيسي**	٦– (٢٥٢٨)
إبراهيم باشا	–	**الفرافرة**	**عبد الله الخطيب**	٧– (٣٥٤٦)
أسعد جابري	**١٣٢١هـ/ ١٩٠٣**	**الفرافرة**	**فرع ليوسف القاضي**	٧– (٣٥٦٥)
ممو	**١٨٣٨م**	**بانقوسا**		١٠
دهان	**١٣١٦هـ/١٨٩٨**	**داخل باب قنسرين**	**باب قنسرين**	٨– (٧١١، ٧٣١)
إعداد: د. م. لمياء جاسر بالاستعانة بسجلات مديرية المتاحف والآثار والمراجع المذكورة أدناه				

٢. **مخططات البيوت الحلبية التقليدية** (المنفتحة على الداخل المنغلقة على الخارج)

يرتبط حجم البيت التقليدي وسعته بالوضع المادي للسكان لذلك نرى بيوتاً صغيرة تحوي صحونها غرفاً قليلة على طرف واحد أو طرفين بينما تحيط الغرف بالصحن من ثلاث أو أربع جهات في البيوت الكبيرة، ولبعض البيوت صحن مستقل للتخديم وآخر للاستقبال. ومعظم هذه البيوت مشيدة على طابقين وقسم منها يضم قسماً تحت الأرض على شكل أقبية ومغارات.

يمكن تقسيم مخططات البيوت التقليدية الكبرى في مدينة حلب إلى نماذج أهمها:

[٢] جان، كلود دافيد – أوابد سويقة علي– شعاع للنشر والعلوم – حلب– ٢٠١٠ – ص٦٤.
[٣] حجار، عبد الله– معالم حلب الأثرية– مؤسسة جورج ومتليد سالم – حلب – ١٩٩٧– ص ٦٦.
[٤] يوليا، غونيللا– حلب في القرن السابع عشر – شام للخدمات الطباعية – حلب– ص٢٣

٢. ١. النموذج الأول (شكل١):

يتكون من باحة تحيط بها الغرف والخدمات من ثلاث أطراف بينما يوضع درجان متعاكسان في الطرف الرابع (الشمالي) يؤدي كل منهما إلى غرف تقع في الطابق العلوي على طرفي الباحة (دار الياسمين– دار بليط) ويقع الإيوان كما هي العادة في الطرف الجنوبي موجهاً نحو الشمال بعيداً عن الشمس.

٢. ٢. النموذج الثاني (شكل ٢):

باحة يحيط بها الغرف والخدمات (المطبخ والحمام..) من الجهات الأربع، ويبنى الإيوان في الطرف الجنوبي من الباحة (بيت دلال – بيت وكيل).. ويكون في الجهة المقابلة له غالباً القاعة (جناح الضيافة) التي قد تكون:

- على شكل غرفة مستطيلة كما في بيت أجقباش وبيت دلال أو
- ذات الأذرع (شكل حرف T) مكونة من عتبة كبيرة تضم في وسطها بركة ماء وتسقفها قبة غالباً، ويحدها من الجهات الثلاث أواوين ترتفع درجة عنها. أما الزاويتان فتضم كل منهما غرفة يعلوها غرفة أخرى تخصص العليا منهما – كما يعتقد – لجلوس النساء (كما في دار وكيل، ودار غزالة) تكون مزودة بمشربية خشبية تمكن النساء من رؤية الحفلات التي كانت تجري في القاعة دون أن يراهن أحد .

تتميز القاعات بغناها الزخرفي، وتغطي جدرانها وسقفها لوحات خشبية مرسومة بالألوان الزيتية النافرة (العجمي).... وغيرها من الزخارف.

٢. ٣ . النموذج الثالث (شكل ٣):

تشبه دور هذا النموذج القصور، وتبلغ مساحة معظمها وسطياً (٩٠٠) م٢، ولها ثلاثة صحون أو أكثر أحدها للقسم المعد لاستقبال الضيوف (المضافة – السلاملك) والثاني لسكن العائلة (الحرملك) والثالث للخدم (كما في بيت جنبلاط – بيت قطرغاسي، بيت غزالة) ويضم بيت غزالة حماماً في الزاوية الشمالية الغربية، وقد وضعت القاعة فيها في الطرف الغربي من الباحة الرئيسة.

٣. أهم العناصر المعمارية في البيوت الحلبية التقليدية.

٣. ١ الباحة (الصحن):

يمثل الصحن نواة البيت الحلبي التقليدي حيث تصطف حوله الغرف في طابق واحد أو طابقين. ولصحن الدار وظيفتان الأولى توزيعية حيث يتم الانتقال منه إلى الغرف، والثانية تجمعية حيث يلتقي فيه مساء كل يوم أفراد الأسرة يتجاذبون أطراف الحديث وقد يتناولون فيه وجبة العشاء.

يوجد في الباحات بركة ماء أمام الإيوان وفي بعض البيوت الحلبية الفخمة هناك مصاطب صغيرة تغطيها العرائش أعدت للموسيقيين وأصحاب الطرب تستعمل في المناسبات والحفلات العائلية.
تضم أرضيات الباحة زخارف رخامية – بأشكال هندسية – تقع بين الإيوان والبحرة وكذلك تزخرف أرضية البحرة ومنصة الموسيقيين وقد يكون هناك بئر ماء مزخرف.

٣. ٢ غرفة الاستقبال (القاعة ذات الأذرع شكل ٤**):**
تتألف القاعة ذات الأذرع من عتبة كبيرة مبلطة بالرخام الملون والمشقف(الموزاييك) تضم في وسطها فسقية ماء مضلعة أو مستديرة ويعلوها قبة قد تضم قمريات بأشكال هندسية. ويحد العتبة من الجهات الثلاث ثلاثة أواوين مرتفعة.

- تقع القاعة غالباً في الطرف المقابل للإيوان(كما في بيت وكيل، بيت باسيل في حي الجديدة ، بيت دهان في حي باب قنسرين..)، وقد تكون على طرفه وبشكل تكون البركة ومكان الموسيقيين أمام كليهما (كما في بيت غزالة شكل – ٣). وقد زخرفت جدران هذه القاعات التسعة (ثلاث أضلاع لكل إيوان) حتى ارتفاع محدد بلوحات مرسومة بالألوان الزيتية، فوق رسوم نافرة من العجمي[٥] تضم مواضيع مختلفة من مناظر طبيعية، صحون من الفاكهة، أصص أزهار.. ومواضيع لها علاقة بالقصص الشعبية، وبالأمور الدينية، وتزين أعلاها إطارات تضم نصوصاً كتابية بخط الثلث من الحكم والأشعار، ويتوج اللوحات من الأعلى كورنيش مزين بالمقرنصات غالباً، بينما يبقى القسم العلوي من الجدران مكسي بالزريقة البيضاء فقط.
- أشهر هذه الخشبيات هي خشبيات بيت وكيل وهي فريدة من نوعها تم شراؤها من عائلة شكري وكيل عام ١٩١٢م بواسطة السيدة مارتا كوخ الألمانية التي قامت بإرسال هذه الخشبيات إلى برلين حيث لا تزال تعرض هناك باسم "الغرفة الحلبية" في جناح الآثار الإسلامية من متحف برغامون، وقد تبين أن الجدران الخشبية هذه قد تم صنعها عام (١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م) وكان مالكها الحاج عيسى ابن بدروس[٦].

٣. ٣ الإيوان:

- **الإيوان التقليدي:**

يقع في الطرف الجنوبي من الباحة غالباً وهو موجه نحو الشمال، مرتفع يتجاوز ارتفاع سقفه الطابقين، وهو محاط بثلاثة جدران وينفتح على الباحة في الضلع الرابع بقوس مدبب كبير .

---

[٥] العجمي عبارة عن مونة خاصة ترسم بها المواضيع الزخرفية على الخشب المغطى بالشاش بشكل بارز ثم تلون بالألوان .
[٦] حجار، عبد الله– معالم حلب الأثرية– مؤسسة جورج ومتليد سالم – حلب – ١٩٩٧– ص ٦٥.

ترتفع أرضية الإيوان عن الباحة حوالي (٤٠) سم لذلك يستعان بدرجة من الحجر للصعود إليه. وفي الإيوان يمكن الاستراحة صيفاً بعيداً عن أشعة الشمس. وقد يزود بمسطبة أمام أضلاعه أو أحدها تستعمل للجلوس .. .

وجد الإيوان كطراز بناء عربي في سورية منذ القرن الثاني عشر الميلادي ونجده – بالإضافة إلى الدور السكنية – في المدارس والجوامع والبيمارستانات... وتزين أرضية الأواوين عادة بضروب شتى من الرخام الملون وتكون في مواجهة الإيوان بحرة الماء، وقد يكون خلفها مكان لجلوس العازفين والمنشدين (كما في بيت غزالة باسيل، جنبلاط ..)

- **الإيوان المعلق:** ظهرت في الفترة العثمانية إيوانات شتوية (تتعرض لأشعة الشمس شتاء) في الطرف الشمالي من الباحة معلقة يصعد إليها بدرج مزدوج (كما في بيت جنبلاط وفي بيت إبراهيم باشا لوحة١– أ، ولوحة ٢– أ).يتقدمه قوس مدبب كبير

وقد يكون الدرج داخلي (كما الإيوان في الطرف الشرقي في بيت ممو وبيت إبراهيم باشا لوحة١–ب)،ويتقدم الإيوان قوسين مرتكزين على عمود في الوسط.وكما ظهر هذا النوع من الأواوين في الطابق الأول في العديد من الدور كبيت وكيل وبيت دلال...

زينت الأواوين وكذلك الأواوين المعلقة وأرضياتها بمختلف أنواع الزخرفة ... وقد يغطى السقف الخشبي من جذوع الشجر بسقف مستعار خشبي مزخرف ومرسوم... .

٤. الزخرفة (لوحة ٢):

استخدمت في زخرفة البيوت الحلبية التقليدية خلال الفترة العثمانية نمطين من الزخارف هما:

أ– الطرق التقليدية: وهي إسلامية كانت متبعة في العهود السابقة وظهر قسم منها في أوائل العهد العثماني

ب– زخارف حديثة: ظهرت في أواخر العهد العثماني متأثرة بالعمارة الأوربية تشبه تلك التي ظهرت في البيوت المنفتحة على الخارج في حي العزيزية والجميلية الآتي ذكرها.

أ– **أهم الزخارف المحلية في البيوت الحلبية التقليدية:**

١– نظام الأبلق (التناوب اللوني): على كامل واجهة الإيوان الجنوبي في قصر جنبلاط وفي الواجهة الجنوبية في بيت غزالة (لوحة ٢– أ، ب) وفي واجهة قاعة بيت وكيل

وحول النوافذ والأبواب..

٢- المزررات[٧]: (في واجهات بيت غزالة وفوق نوافذ قصر جنبلاط وعلى شكل شريط في إيوانه... لوحة ٢- أ، ب، خ).
٣- الرخام الملون، والمكون من قطع صغيرة مجمعة لتشكل شكلاً هندسياً أو نجمياً ونراه في أرضيات الباحة، منصة المطربين، البركة، عتبات ومسطبات الغرف والقاعات والأواوين (لوحة ٢- ت، ث) ...
٤- بلاطات القيشاني: (كما في إيواني قصر جنبلاط لوحة ٢- خ وفي السلسبيل العائد له الموجود حالياً في حديقة المتحف[٨]).
٥- زخارف نباتية وهندسية مخرمة منفذة على الحجر فوق النوافذ والأبواب وفي نوافذ الأقبية (أجقباش، وكيل، بليط، غزالة. لوحة ٢- ب، ج، ح) ومنفذة على الخشب أعلى النوافذ وفوق المرايا في السقفيات.
٦- إطارات من الزخارف الهندسية النجمية (بيت غزالة لوحة ٢- ب)
٧- زخارف حجرية نباتية مختلفة(أرابسك وغيره في بيت غزالة، دلال لوحة٢-ب).
٨- زخارف نباتية جصية في إيوان بيت باسيل .
٩- ألواح خشبية مرسومة بمونة بارزة ومدهونة بالألوان الزيتية (العجمي) تمثل مواضيع مختلفة تغطى بها جدران الغرف والقاعات والسقوف، ويعتبر تلبيس جدران الغرف الداخلية بالخشبيات من أهم مزايا البيوت السورية في العهد العثماني ومعظم الخشبيات الموجودة اليوم تعود إلى القرن (١٨م) وبداية القرن (١٩م) وخشبيات بيت وكيل هي أقدم وأجمل ما نعرفه عن هذا النوع من الزخارف الخشبية إلى اليوم. يلبس القسم السفلي من جدران الغرف الداخلية بلوحات خشبية في حين يبقى القسم العلوي من الجدران مكتفياً بالزريقة. وتترك مسافة بين حوافها السفلية وأرضية الغرفة لتغطى بالزريقة أو الرخام. وتغطي اللوحات الخشبية جدران القاعة كافة. وقد يكون لها خزائن مغلقة أو مفتوحة (كتبيات) يعرض داخلها أواني زجاجية وخزفية. وتتألف الخشبيات من إطار يضم داخله لوحات مستطيلة ضيقة بأبعاد متساوية وهي ذات حواف تصل اللوحات ببعضها (كما في بيت وكيل، بيت غزالة، بيت دهان، بيت قطرغاسي وغيرها.. لوحة ٢- د).
وقد تظهر في السقوف الجسور الخشبية فوقها ألواح من الخشب ويزخرف الكل برسومات من العجمي وغالباً ما يغطى السقف المكون من ألواح خشبية ممتدة فوق جذوع الشجر من الداخل بسقف مستعار من الألواح الخشبية المحمولة على كورنيش في الأطراف والمزخرفة بالدهان الزيتي أو المعروف بالعجمي.....

---

[٧] الفقرات (الصنجات) المتشابكة والمعشقة
[٨] ينظر حول السلسبيل جاسر ، لمياء – السبيل في حديقة المتحف الوطني- في مجلة العاديات- حلب- السنة السادسة العدد ٢ – لعام ٢٠٠٩

١٠- نوافذ من الجص (أو الخشب) المعشق بالزجاج الملون كما في بيت جنبلاط (لوحة ٢- خ).
١١- نصوص كتابية: بخط الثلث ضمن الخشبيات أعلى النوافذ وفي الكورنيشات وهي عبارة عن حكم أو أمثال أو أبيات من الشعر وربما كانت على شكل أدعية لصاحب الدار كما تحمل تأريخ البناء أحياناً أو تاريخ الكساء بالخشب كما وجدت كتابة من الرخام المشقف الملون بالخط الكوفي المربع (في بيت الجابري وقصر جنبلاط)، وتعتبر لوحة بيت الجابري فريدة من نوعها في آثار مدينة حلب (لوحة ٣- أ). وهناك أيضاً نصوص منقوشة على الحجر أيضاً.

ب- الزخارف الحديثة في البيوت التقليدية:

ظهرت في أواخر العهد العثماني بالإضافة إلى الزخارف التقليدية زخارف متأثرة بالعمارة الأوربية ونرى هذا التحول في زخرفة البيوت التقليدية في بيت مامو (لوحة ٣- ب، ت) وبيت إبراهيم باشا(لوحة ١- ب) وبيت الجابري (لوحة ٣- أ، ث) ويتمثل في أدراج فخمة لها سياج فخم، وأعمدة ملتحمة بالجدار محمولة على كراسي، وأقواس نصف دائرية محمولة على بروزات، زخارف على مفتاح القوس، زخارف نباتية وهندسية على الحجر، أشكال تشبه ستائر حجرية ... وقد تضاف المخرمات الخشبية فوق لوح من المرايا في بعض الأسقف.

٥. الإنشاء:

٥. ١ الجدران: بنيت الجدران من الحجر الكلسي الأبيض والأصفر المنحوت جيداً، وهو المادة المتوفرة في المنطقة. وقد أضيف إليها الحجر الأسود أحياناً

٥. ٢ . التسقيف: كان السقف مستوياً خشبياً غالباً وهو مكون من ألواح خشبية ممدودة فوق جوائز متقاربة من جذوع الشجر تعلوها طبقة من الطمي ثم طبقة عازلة، وغالباً ما يغطى السقف من الداخل بسقف مستعار من الألواح الخشبية المحمولة على كورنيش في الأطراف ويزين هذا السقف المستعار بالدهان الزيتي المعروف بالعجمي.

- وقد يكون السقف الخشبي محمولاً على عوارض خشبية كبيرة تزخرف بزخارف هندسية ونباتية .
- كما ظهر التسقيف بالقضبان الحديدية حرف I في أواخر العهد العثماني الذي أصبح بالإمكان استيراده من أوربا بعد مد الخط الحديدي في تلك الفترة.
- كما استعمل القبو المتطاول خاصة في الأواوين (لوحة ٢- خ) والممرات وبعض الغرف ...والقبو المتقاطع في الأقبية وفي بعض الغرف، وقد سقفت العتبة في القاعة ذات الأذرع بقبة قرميدية غالباً وكذلك صالات الحمامات العائدة لبعض هذه الدور وهي مزودة بالقمريات (كما في بيت وكيل ، بيت غزالة ..). وقد تكون قبة القاعة خشبية.

٥. ٣. **الأقواس:** استمرت الأقواس المدببة ذات المراكز الأربعة، والأقواس المجزوءة والمجزوءة بمفتاح بارز ومزخرف كما استعملت النجفات المستقيمة وظهر القوس الجرسي (لوحة ٣– ب).

ثانياً: البيوت على الطراز الحديث (المنفتح على الشارع) في العهد العثماني المتأخر

٦. مقدمة:

بدئ العمل في أواخر العهد العثماني بحي العزيزية نسبة إلى السلطان العثماني عبدالعزيز (١٢٧٨– ١٢٩٣هـ/١٨٦١– ١٨٧٦) كما بدئ عام (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) بتأسيس محلة السليمية نسبة إلى سليم نجل السلطان عبد الحميد (أو الجميلية: نسبة إلى جميل باشا) فأخذ الناس بشراء الأراضي هناك وتأسيس الدور وقد أقيم فيها قصران عظيمان أحدهما لجميل باشا والثاني لعلي محسن باشا القائد العام فوق العادة على حلب وأضنة وضواحيها[٩].

إن عمارة البيوت الحلبية في هذه الفترة ابتعدت عن المنحى التقليدي للبيت الحلبي المنغلق على الخارج والمنفتح على الداخل حيث الباحة، إلى نمط غربي أوربي منفتح على الخارج.

أما الأسباب التي كانت وراء هذا التحول يمكن أن تلخص بالبنود التالية :

١) لقد وفد إلى سورية في تلك الفترة مهندسون وفنانون درسوا في الجامعات الأوربية (فرنسة وإيطاليا) فشيدوا القصور وفق الفنون الأوربية .

٢) انتقلت هذه الفنون عن طريق الباشوات والحكام الذين كانوا يرغبون في تقليد العاصمة استانبول التي انتشر فيها هذا النوع من البناء للأسباب المذكورة.

٣) كان للجاليات الأوربية التي سكنت حلب في تلك الفترة ضمن الخانات السبب في ظهور بعض البيوت المتأثرة بتصميم بيوت هذه الجاليات.

٧. أهم ما يميز الدور على الطراز الحديث:

١– غياب الباحة الداخلية والإيوان غالباً.
٢– ظهور القاعات الطابقية والممرات
٣– تعدد المستويات. وظهور درج داخلي يصل بين الطابقين
٤– سيطرة الشكل المتناظر المنتظم
٥– ظهور الشرفات وانتشار الأكشاك.

[٩] الغزي ، كامل البالي الحلبي – نهر الذهب في تاريخ مملكة حلب – دار القلم – حلب– ١٩٩١– م٣ ص ٣١٥.

٦- قد يتقدم المبنى من جهة واحدة أو أكثر حديقة

٧- ظهور الأدراج الخارجية من طرفين أو طرف واحد أو في الوسط. وغالباً ما يكون لهذه الأدراج سياج حجري مزين بتخاريم هندسية أو نباتية. كما ظهرت مثل هذه الأدراج ضمن البيوت التقليدية المتأخرة داخل الباحة تؤدي إلى الأواوين أو القاعات والشرفات(كما في بيت مامو،بيت إبراهيم باشا، بيت أسعد الجابري السابق ذكرهم)، كما ظهرت في العديد من المباني الأخرى(كالمدارس والمباني الحكومية ..) التي أنشئت في أواخر العهد العثماني.

تعددت البيوت والقصور التي بنيت في الفترة العثمانية في حي الجميلية ولكن ليس هناك بين أيدينا وثائق تبين لنا تاريخ إنشاء أي منها. كما أن الدور المنشأة في فترة عهد الانتداب الفرنسي تتشابه مع تلك التي أنشئت في الفترة العثمانية المتأخرة مما يجعل التأكد من هوية أي بناء أمر متعسر، كما أن قصر الوالي جميل باشا (أمام ثانوية معاوية) قد هدم وكذلك قصر علي محسن باشا (أمام مدخل ثانوية المأمون) أيضاً قد هدم وهكذا كان مصير العديد من القصور والدور في هذا الحي. لذلك سأورد دراسة للقصر الذي كان سكناً للولاة في مدينة حلب والذي تحول إلى ثانوية معاوية فيما بعد كنموذج لهذه الدور.

أما في حي العزيزية فقد أوردت المهندسة ناريمان توما تواريخ بعض الدور المنشأة في حي العزيزية كما أن بعض هذه الدور قد سجل على أبوابها تاريخ بنائها، سأتناول بالدراسة بيت غزالة (المستشفى الإيطالي سابقاً)، بيت أسود (مشفى قسيس).

٨. المسقط الأفقي:

يتكون قصر الولاة (ثانوية معاوية)[١٠](شكل-٥) من ثلاث طوابق (أرضي، أول، ثاني) يتكون كل منها من صالة مركزية توزع إلى عدد من الغرف، وهناك درج خارجي فخم مزدوج يصل بين الحديقة الأمامية والطابق الأول، ودرج خلفي يصل بين الباحة الخلفية والطابق الأول أيضاً، بينما هناك في الطرف الشرقي درج داخلي يصل بين الطوابق الثلاث. والتصميم الطابقي لهذه الدار يشبه تصميم البيت التقليدي بحيث استعيض فيه عن الباحة بالبهو ... فهو يقوم بنفس الوظيفية التوزيعية والتجميعية بحيث يكون البهو هو غرفة الاستقبال والجلوس الموزع إلى بقية الغرف في آن واحد.

يتكون البناء في بيت غزالة (المشفى الإيطالي)[١١] (شكل ٦) من طابقين يضم الطابق الأرضي الخدمات.. وهناك درج يصعد إلى الطابق الأول يؤدي إلى صالة فخمة توزع

---

[١٠] لمزيد من التفاصيل ينظر جاسر،لمياء الدور السكنية في تقصي خطى الدولة العثمانية : جرد المباني المنشأة والمرممة في حلب في الفترة العثمانية- برنامج التعاون الإقليمي السوري التركي - ٢٠١٠- ص ٦٣٥.

[١١] لمزيد من التفاصيل ينظر جاسر، لمياء - الدور السكنية في تقصي خطى الدولة العثمانية : جرد المباني المنشأة والمرممة في حلب في الفترة العثمانية- برنامج التعاون الإقليمي السوري التركي - ٢٠١٠- ص ٦٣٧.٦٣٩ .

إلى غرف مختلفة كما في بقية بيوت العزيزية. وقد جرى تغيير في التقسيمات من أجل مقتضيات المشفى.. وينتهي البهو في الغرب إلى جدار بني بنظام الأبلق يضم في وسطه باباً ينفتح على شرفة. ويمتاز المبنى بشرفته الكبيرة المطلة على الشارع.

٩. الزخرفة (لوحة ٤) :

قلت العناية بالزخرفة الداخلية وخلت بعض البيوت منها عدا السقوف المرسومة والمزينة بالأشكال البارزة النباتية والهندسية، وبعض الكتبيات.. إلا أن الزخرفة في أغلب هذا النوع من الدور قد تركز على الخارج حيث الواجهات المطلة على الشارع.

٩. ١ الواجهات: تميزت بالتأثر بعمارة عصر النهضة والباروك في أوربا وهي تتميز بما يلي:

١- تقسيم الواجهات بواسطة أفاريز بارزة أفقية تفصل بين الطوابق.

٢- تنتهي الواجهات في الأعلى بكورنيشات بارزة محمولة على أظفار.

٣- زخرفة الواجهات أو أجزاء منها بفرزات أفقية غير عميقة. (لوحة ٤- أ، ت)

٤- تقسيم الواجهات عمودياً إلى أقسام بواسطة دعامات بارزة قليلاً تنتهي بتاج في الأعلى.(كما في: مشفى قسيس اللوحة ٤- أ)

٥- ظهور الشرفات المكونة من ألواح حجرية كبيرة والمحمولة على أظفار حجرية مزخرفة. أو المحمولة على جيزان من القضبان الحديدية.

٦- ظهور الأدراج الفخمة وغالباً ما تكون مزدوجة وقد تكون خارجية (كما في بيت
أسود قسيس لوحة ٤- أ)، أو داخل الحديقة (كما في قصر الولاة لوحة ٤- ت). تؤدي إلى شرفة تتقدم المدخل.

٧- ظهور أدراج داخلية تؤدي إلى الصالة (كما في مشفى قسيس)...

٨- التركيز على الواجهة فوق المدخل التي قد تكون أكثر ارتفاعاً (كما في قصر الولاة لوحة ٤- ت) أو تضم شرفة كما في بيت أسود (مشفى قسيس)

استمرت الزخارف الإسلامية التي كانت منتشرة في المراحل السابقة مع تعديل وتطوير لها، كما استعملت أنماط جديدة لا تمت للزخرفة الإسلامية بصلة.

٩. ٢. العناصر الزخرفية: من هذه العناصر نذكر :

١. نظام الأبلق : (في بيت حمصي أو المشفى الإيطالي لوحة ٤- ث).

٢. أشكال هندسية في الأسيجة وفي الكورنيشات وتحت النوافذ (لوحة ٤- أ، ت)

٣. أشكال نباتية في الأسيجة في أغلب الأبنية وفي الكورنيشات وفوق النوافذ وفي التخاريم الخشبية فوق النوافذ وفي التخاريم الحجرية .

٤. رسومات نباتية ومناظر طبيعية كما في سقف بيت غزالة(المشفى الإيطالي لوحة٤-ث)
٥. أفاريز المحمولة على أظفار صغيرة فوق النوافذ في العديد من الأبنية، وتحت الجبهات المثلثية التي تعلو الأبواب والنوافذ والمزخرفة بالمكعبات البارزة. (لوحة ٤- أ ، ت)
٦. ترخيم الأرضيات بالتناوب اللوني، كما ظهر نوع جديد من البلاط الملون.
٧. المربعات أو المستطيلات البارزة .
٨. الأعمدة، والأعمدة الحلزونية أو البسيطة على طرفي النوافذ.(لوحة٤- أ، ت)
٩. الأقراص الزخرفية بأشكال نباتية أو هندسية (لوحة ٤- أ).
١٠. الجبهات المثلثية فوق النوافذ والأبواب (لوحة ٤- أ)...
١١. ظهر مفتاح الأقواس البارز والمزخرف بأشكال مختلفة..(مشفى قسيس لوحة٤- أ)..

١٠. الإنشاء:

- استمر الإنشاء كما في الدور التقليدية بالحجر الأبيض والأصفر
- استمرت السقوف المستوية من جذوع الشجر أو المحمولة على جوائز حديدية I.
- بقاء الأقبية المتطاولة والمتقاطعة خاصة في الطوابق الأرضية وفي الأقبية.

وكان السقف قبو متطاول زورقي (في بهو بيت غزالة - المشفى الإيطالي لوحة ٤- ث) وهو مرسوم بالألوان الزيتية بلوحات فنية تضم مناظر طبيعية وأشكال في غاية الجمال وكأنه متحف.

- استعملت الجوائز المعدنية I بينها ألواح خشبية (كما في سقف الصالة في مشفى قسيس لوحة ٤- ب) وفي الوسط قطعة خشبية من الزخارف النباتية والحلزونية لتعليق الفانوس ....
- **الأقواس:** استعملت الأقواس نصف الدائرية بكثرة كما استعملت الأقواس المجزوءة بمفتاح بارز ومزخرف، النجفات المستقيمة... والأقواس الجرسية .

اعتمد البحث بشكل رئيسي على الجولات الميدانية.
كما تم الاعتماد على سجلات مديرية المتاحف والآثار لتعيين مواقع البيوت المسجلة أثرياً. بالإضافة إلى بعض المراجع وهي كالتالي:

فهرس المراجع

١- **توما،** ناريمان- **حي العزيزية.** رسالة ماجستير لم تنشر بعد .

٢- **جاسر،** لمياء - **الدور السكنية** في: **تقصي خطى الدولة العثمانية في حلب. جرد الآثار التاريخية المنشأة والمرممة في الفترة العثمانية في حلب.** برنامج التعاون الإقليمي السوري- التركي- هيئة تخطيط الدولة- ٢٠١٠- ٦٩١ص.

٣- **جاسر** لمياء **السبيل في حديقة المتحف الوطني.** في مجلة العاديات السنة السادسة العدد ٢ لعام ٢٠٠٩.

٤- **حجار،** عبد الله: **معالم حلب الأثرية.** ط٢، مؤسسة جورج ومتيلد سالم الخيرية حلب- ١٩٩٧ - ٢٦٤ص.

٥- **دافيد،** جان كلود - **أوابد سويقة علي في حلب.** نقله إلى العربية **حريتاني، محمود** شعاع للنشر والعلوم- حلب - ٢٠١٠- ٢٣٩ص

٦- **رسل،** ألكسندر وباتريك- **تاريخ حلب الطبيعي في القرن الثامن عشر.** ت: خالد الجبيلي، ط١،١٩٩٧- ٤٠٩ ص

٧- **الغزي** ، كامل البالي الحلبي- **نهر الذهب في تاريخ مملكة حلب**- ط٢- دار القلم العربي - حلب١٩٩١- ٣ م - ١٦٤٩ص.

٨- **غونيلا،** يوليا - **حلب في القرن السابع عشر (البيت الحلبي)** - ترجمة **خياطة، وحيد.** شام للخدمات الطباعية، سورية - حلب ٧١ص.

٩- **مجلة العاديات** السنة السادسة العدد ٢ لعام ٢٠٠٩ . حلب

DAVID- Jean- Claude. LA SUWAYQAT ALI A' ALEP . DAMAS 1998- INSTITUT FRANCAIS DE DAMAS 209 p.

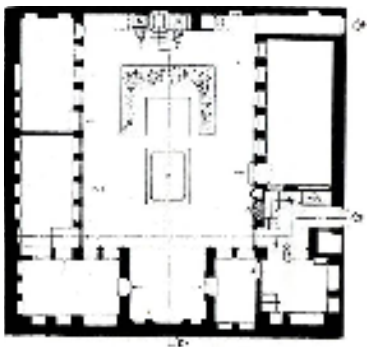

شكل – ١ – نموذج ١- بيت بليط

شكل- ٢- النموذج ٢- بيت دلال

شكل- ٣- نموذج ٣- بيت غزالة

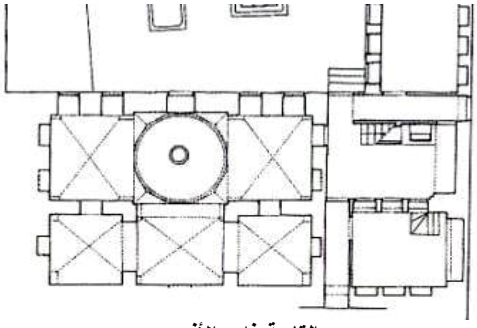

القاعة ذات الأذرع
شكل – ٤- بيت وكيل

شكل ٥ – ثانوية معاوية

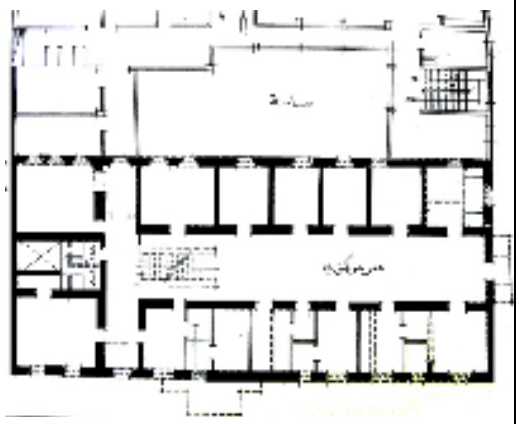

شكل -٦- بيت غزالة (المشفى الإيطالي)- طابق اول

أ- إيوان معلق- بيت إبراهيم باشا

ب- إيوان بيت إبراهيم باشا المعلق

لوحة (١) الأواوين المعلقة في الطابق الأول (تصوير لمياء جاسر)

أ- قصر جنبلاط - الإيوان المعلق

ب- بيت غزالة: الواجهة الجنوبية

ت- بيت وكيل - الفسيفساء الرخامية

ث- بيت دلال (ترخيم الأرضيات)

لوحة (٢) الزخارف في البيوت الحلبية في الفترة العثمانية (تصوير لمياء جاسر)

ج- **بيت أجقباش:** منظر داخلي

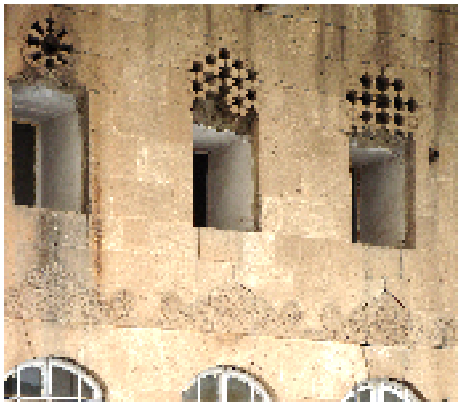

ح- **بيت بليط:** تخاريم حجرية

خ- **قصر جنبلاط:** الإيوان الشمالي

د- **خشبيات بيت قطرغاسي**

تتمة لوحة (٢) الزخارف في البيوت الحلبية في الفترة العثمانية (تصوير لمياء جاسر)

أ- **بيت أسعد الجابري** لوحة بالخط الكوفي

ب- **بيت ممو** الإيوان المعلق

ت- **بيت ممو:** واجهة غرفة على الإيوان

ث- **بيت الجابري :** أقواس وتخاريم حجرية

لوحة (٣) الزخرفة في البيوت الحلبية التقليدية المتطورة في الفترة العثمانية

أ- **بيت أسود – مشفى قسيس:** واجهة

ب- **بيت أسود – مشفى قسيس:** سقف

ت- **قصر الولاة (ثانوية معاوية)** منظر خارجي

ث- **بهو بيت غزالة (المشفى الإيطالي)**

لوحة (٤) الزخرفة بيوت حي العزيزية والجميلية

The development of grand houses' architecture in Aleppo during the Ottoman era

Summery :

In the Ottoman era in Aleppo Grand houses have been developed from the traditional house, which is closed to the outside and opened to the central courtyard, to a modern house without a courtyard and it's rooms were opened to the outside where wide streets. These modern houses were influenced by the Renascence and Baroque Architecture in Europe, and generally was of three stories, and consisted of a central hall surrounded by many rooms opened to the wide streets. On the other hand the traditional house consisted of two stories, the central courtyard contained a fountain, plants and different trees. In the southern side of the courtyard there was the summer iwan, and sometimes there was a winter iwan on the northern side, which is located in the first storey.

In the Ottoman period many new ways of decoration appeared such as tiles covering walls, and panels of painted wood, besides the old ways which were used before like stalactites, juggled voissiores, and pointed stars…. In the modern houses we can also find new types of floral and geometrical ornamental elements, ceilings decorated with marvelous paintings and new designs of large stairs. All these changes in ways of decoration were also appeared in traditional houses which built in late Ottoman erra .

New ways of construction such as concrete slabs and (I) shape beams were used in grand houses from the late Ottoman era, besides the old ways like flat wooden ceiling, tunnel vaults, crossing vaults and domes.